﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأدلـةُ المشيرةُ إلى البعثِ حاضرةٌ في أعاجيب قصص القرآن

لمّا ذكرتِ الآيات السّابقة بعثَ أهل الكهف، وما صدَرَ عنهم من تساؤلٍ حول نومِهم، ناسب أن تنتقلَ القصَّةُ إلى ذكرِ إعثار الله عليهم، الَّذي هو "مَوْضِعُ عِبرَةِ أَهلِ زَمانِهِم بِحالِهِم وانتِفاعِهِم باطمِئنانِ قُلوبِهِم لِوُقوعِ البَعْثِ يَوْمَ القيامَةِ بِطَريقَةِ التَّقْريبِ بالمُشاهَدَةِ وتَأْييدِ الدّينِ بِما ظَهَرَ مِن كَرامَةِ أَنصارِهِ، وقَدْ كانَ القَومُ الَّذينَ عَثَروا عَلَيْهِم مُؤْمِنينَ مِثْلَهُم، فكانَتْ آيَتُهُم آيَةَ تَثبيتٍ وتَقويَةِ إيمانٍ، فالكَلامُ عَطْفٌ على قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ [الكهف: 19]"[1]، فهو انتقالٌ مِن ذِكرِ عجيبةِ بَعثِهم، إلى ذِكرِ عجيبةِ الإعثارِ عليهم، وهو مِنَ الأدلَّة المُشيرة إلى البعث، بما شاهدَه النّاسُ مِن واقعِ مَن يُعايشون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾: يَرجعُ مُنتهى أصولِ الإعثارِ إلَى أَصلٍ واحدٍ وهو إثارةُ الغبار، فيُقال: عَثَرَ الفَرَسُ يَعْثُرُ عِثارًا، وذلك إذا سَقَطَ لِوجْهِهِ، قالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ: إنَّما قيلَ عَثَرَ مِنَ الاطِّلاعِ، وذلك أَنَّ كُلَّ عاثِرٍ فلا بُدَّ أَنْ يَنظُرَ إِلَى مَوْضِعِ عَثْرَتِهِ، ويُقالُ: عَثَرَ الرَّجُلُ يَعْثُرُ عُثورا وعَثَرًا، إذا اطَّلَعَ على أَمرٍ لَم يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 287.

وأَعْثَرْتُ فُلانًا على كَذا، إذا أَطلَعتَهُ عَلَيهِ[1]، ويُتجوَّزُ به فيمَن يطَّلِعُ على أَمرٍ مِن غَيرِ طَلبِه، كما في قوله تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: وقّفناهُم عَلَيهِم مِن غَيرِ أَنْ يَطّلبوا[2].

2) ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: (نزع) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على قَلْعِ شَيءٍ، ونَزَعْتُ الشَّيْءَ مِن مَكانِهِ نَزْعًا، والمِنزَعُ: الشَّديدُ النَّزْعِ، ونَزَعَ عَنِ الأَمرِ نُزوعًا: تَرَكَهُ، وعادَ الأَمرُ إِلَى النَّزَعَةِ، أَيْ: رَجَعَ إِلَى الحَقِّ، وأَرادَ بالنَّزَعَةِ جَمعَ نازِعٍ، وهو الَّذي يَنْزِعُ في القَوْسِ: يَجْذِبُ وتَرَهُ بالسَّهْمِ، وفُلانٌ قَريبُ المَنْزَعَةِ، أَيْ قَريبُ الهِمَّةِ، ومَنْزَعَةُ الرَّجُلِ: رَأْيُهُ، ونازَعَتِ النَّفْسُ إِلَى الأَمرِ نِزاعًا، ونَزَعَتْ إِلَيْهِ، إِذا اشْتَهَتْهُ، ونَزَعَ عَنِ الأَمرِ نُزوعًا، إذا تَرَكَهُ[3]، والتَّنازُعُ والمُنازَعَةُ: المُجاذَبَة، ويُعَبَّرُ بِهما عنِ المُخاصَمة والمُجادَلة[4]، ومعنى التَّنازع في الآيةِ تَجاذبُ الحَديثِ والرَّأي في شَأنِ السّاعة، أو في شَأنِ أصحابِ الكهفِ.

3) ﴿غَلَبُواْ﴾: (غلب) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على قوَّةٍ وقَهْرٍ وشِدَّةٍ؛ مِن ذلك: غَلَبَ الرَّجُلُ غَلْبًا وغَلَبًا وغَلَبَةً[5]، والمَعنى المِحْوريّ لهذه المادة: شدَّةٌ مع علوٍّ ما وعِظَم جِرْم، ومن عِظم الجِرم، دلَّ على الكثرة قولهم: اِغْلَولَبَ القومُ: كثروا، ومن الشِّدَّة قيل: غلبه: قهره[6]، ومعنى ﴿غَلَبُواْ﴾ أي: حكموا، وهم الولاة[7]، أي: غَلبوا على أَمرِ أصحابِ الكهفِ[8].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تُبَيِّنُ الآيةُ عجيبَ صَنيعِ اللهِ تعالى بأصحابِ الكهف، فكما أنامَهم تلك المُدَّة الطَّويلة، وبعثهم هذا البعث الخاصّ، وأَطلعَ النّاسَ عَليهِم ليُعلِّمَ هؤلاء النّاس عن طريق المعاينة والمشاهدة، أَنَّ وعْدَ اللهِ بالبعث حَقٌّ وصدقٌ وليعلموا كذلك أنَّ السّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، ولا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عثر).
(2) الراغب، المفردات: (عثر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عثر).
(4) الراغب، المفردات: (نزع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلب).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلب).
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 507.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 640.

شكَّ في حصولها، فإنَّ مَن شاهدَ أهلَ الكهف، وعرفَ أحوالَهم، أو سمعَ عنهم الخبرَ اليقين أيقنَ بأنَّ مَن كانَ قادرًا على إنامتِهم تلك المدَّة الطويلة، ثمَّ على بعثِهم بعدَ ذلك مِن نومِهم؛ فهو قادرٌ على إعادةِ الحياةِ إلى الموتى، وعلى بعثِ النّاس يومَ القيامةِ للحسابِ والجزاءِ[1].

تيسيرُ السُّبُل لبيانِ صدق الرُّسُل

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا﴾ عَطَفتِ الجملةَ على جملةِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: 19]، أُريدَ بها بيان الحكمة الَّتي من أجلها أَطْلَعَ اللهُ ﷻ النّاسَ على هؤلاء الفتية، فكما كان ﷻ قادرًا على بعثهم مِن نومهم تلك المدَّة الطَّويلة فهو قادرٌ كذلك على إراءة النّاس حالَهم وما صاروا إليه، وهو مِن عطفِ الجمل الخبريَّة على مثيلتها؛ لتشريكها في الحكم الإعرابي مع وجود الجهة الجامعة، والمناسبة بين هاتين الجملتين ممّا أوجب الوصل بينهما.

عطفُ الحكمةِ على الحكمة

بلاغةُ التَّشبيهِ ودلالتُه:

شُبِّهت حالة الإعثار على أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، واطّلاع القوم عليهم وعلى ما رأوه منهم؛ بحالة نومهم الطَّويل ثمَّ بعثهم، وهي تشبيه حالةٍ بحالة، وأداة التشبيه؛ الكاف، ووجه الشَّبه؛ آية الله ﷻ وقدرته في الإعثار عليهم كما كانت آيةً في إنامتهم هذه المدَّة الطَّويلة، وفي هذا التَّشبيه المعطوف على السّابق إيماءٌ إلى أنَّ الإعثارَ عليهم لم يكن بالأمر الهيِّن، أو بالأمر اليسير، وإن لم ترد تفاصيلُ ذلك في القرآن، إلّا أنَّ الإشارة التَّشبيهيّة تومِئ إليه، أو أن يكون من باب تشبيه الغاية بالغاية، فكأنَّه ﷻ يقول: كما "أنمناهم وبعثناهم، لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم، ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أَنَّ وعْدَ

يومئُ التَّشبيهُ بأنَّ الإعثارَ عليهم لم يكن بالأمرِ الهيِّن اليسير

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 492.

اللّه حَقٌّ وهو البعث، لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يُبعث"[1].

نكتة ذكر اسم الإشارة البعيد:

المعاني العالية يُشار إليها بما يُناسب مكانتها في النُّفوس

المراد من ذكر اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ تمييز أمر الإعثار عليهم؛ لكونه أمرًا غريبًا يحتاج إلى الاطِّلاع عليه، مع تعظيم قدرة اللّه تعالى الَّذي أنامهم هذه المدَّة، ثمَّ أفاقهم بعدها أحياءً، أي: ومثل ذلك الإعثار الذي له المكانة العالية في نفوس المؤمنين، وزيادة في هذه الأمور سَبْقُه بهيئة البعث بالأوصاف المذكورة آنفًا، وصار ما يتبع هذا البعث علامات أخرى تدلُّ على قدرة اللّه تعالى في هذه الآية العجيبة.

بلاغة الاستعارة التَّصريحيَّة:

إعْثارُ اللهِ تعالى عَـلـيْـهـم آيـة، وهـدايـتـه لَـهُـم رَحْمَة

جاء التعبير بلفظ الإعثار للاطلاع على الشيء، والحصول عليه والفوز به؛ فاستعير العثور من معناه الحقيقي وهو السُّقوط عليهم، ثم اشتُقَّ من العثور ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾، بتشبيه وجدانِهم لأصحاب الكهفِ بالعثور عليهم على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، والقرينة عقلية لاستحالة العثور حقيقة، وورود التَّعبير بها مبالغة في الاطِّلاع والحصول عليهم.

نكتةُ استعمال مفردة عثر:

أصحابُ الكهفِ دَعَـوا إلى الله بعجيبِ نومِهم لا بـصـريـح عقلِهم

استعمل النَّظم كلمة ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾ دون أن يقول: أطلعناهم، أو أريناهم، وما إلى ذلك من تعبيرات من شأنها الدلالة على المعنى المراد، وهو أنَّ هذه المفردة تومئ إلى أنَّ القوم عثروا عليهم من حيث لا يتوقعون، والظّاهر أنَّهم كانوا يمشون في طريقٍ فأعثرهم اللّه تعالى فيها، فوجدوا القومَ، فاللّه أعثرهم عليهم، لا هم عثروا عليهم، وبه يظهر أنَّ حكمة اللّه تعالى كائنةٌ في أصحاب الكهف

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 477.

بأن يكونوا عبرةً وعظةً ودلالةَ صدقٍ لقومِهم، وأنَّهم وإن لم يكونوا داعين الله بلسانِ حالِهم لخوفِهم على دينهم، جعلهم الله داعين إليه بإنامتهم، وهذا من بديع التَّعجب من هذه القصَّة.

نكتة إسناد ﴿أَعْثَرْنَا﴾ إلى ضمير العظمة:

كلُّ ما جاء من العظيمِ عظيم

أُسند فعل ﴿أَعْثَرْنَا﴾ إلى ضمير العظمة؛ لكونه ﷻ هو القادر على إنامتهم ثم إفاقتهم ثم إطلاعِ القوم عليهم، وما كانوا يعلمون من حالهم شيئًا إلّا بعد هذه الإفاقة وذلك العثور؛ ففي الإسناد تعظيم لقدرة الله تعالى، وآية عجيبة منه تعالى على الإحياء والإماتة.

نكتة حذف مفعول ﴿أَعْثَرْنَا﴾:

اعتناءُ النَّظم بذكرِ المقصودِ بالسّياق

حذف مفعول فعل ﴿أَعْثَرْنَا﴾؛ لقصد العموم إذ المعنى: وكذلك أطلعنا الناس عليهم، أو أطلعنا أهلَ المدينة على حالهم، ولما كانوا هم المقصودين بالكلام حذف المفعول، لمعرفة ذلك بداهةً، وليكون موطنُ العبرةِ في الإعثار عليهم.

بلاغة استعمال حرف الاستعلاء:

الكهفُ تجويفٌ في باطنِ جبلٍ تحت أقدام السّائرين

آثر النَّظمُ الكريمُ استعمالَ حرفِ الاستعلاء ﴿عَلَيْهِمْ﴾، وحرفُ الجرِّ (على) يُفيد الاستعلاءَ على الشَّيء؛ للإحاطةِ بهِ مِن جميعِ جوانبِهِ، بحيثُ لا يغيب منه أيُّ جزء، وعلا الشيء ارتفع عليه وأحاط به، وقد جاء استعمالُه في هذا السّياق مناسبًا للفظ العثور حقيقة ومعنى؛ فيُقال: عثرَ على ضالَّته؛ وجدَها وأحاطَ بها، فمعنى أعثرنا عليهم: أي جعلنا أهلَ القريةِ يعثرون عليهم في جوف الكهف، ويومِئ حرف الاستعلاء إلى أنَّ الكهف في تجويفٍ يكون تحت أقدام السّائرين، فهو يحتاج إلى انتباهةٍ شديدةٍ من فوق ليُعثر عليهم، ولم يكن ذلك إلّا بفعل الله تعالى وإرادته.

معنى اللام ودلالتها:

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ للتَّعليل، والمعنى:

أعثرنا عليهم مِن أجل أن يعلموا، واللّام بهذا صارت رابطةً بين فعل ﴿أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ وفعل ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾، أي: أعثرنا لأجل العلم بأنَّ وعدَ اللّه حقٌّ، فغايةُ الإعثارِ العلم.

غايةُ أفعال الله تـعـالى حِـكَـمٌ وعِبَر

تعيين مرجع الضمائر:

الضَّميرُ في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ عائد إلى الفتيةِ أصحاب الكهف، والضَّمير في الفعل ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ عائد على أهل المدينة الَّذين اطَّلعوا عليهم، وهو مفعول الفعل ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾.

بلاغة مجيء مفعولي (علم) جملة:

وقـوعُ المعـاني جملةً أرسخ في تثبيت جزئياتها

ورد مفعولا الفعل ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ جملة مؤكَّدة مقرونة بكونها وعدًا مِنَ اللّه ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾، وهذا الوعد هو يوم القيامة وهو الحقُّ الثّابت، وقد جاء المفعولان جملةً لبيانِ أنَّ مضمونَها مترابطٌ في آحادِه ومفرداته ومعانيه ودلالاته، فيقع ذلك كلُّه موقع المعلوم يقينًا، باعتبارِه معنًى كليًّا مترابطًا.

سرُّ مجيء المسند إليه تركيبًا إضافيًّا:

شمولُ كلِّ وعدٍ من الله تعالى، والبعث يدخل دخولًا أوليًّا

جاء المسند إليه تركيبًا إضافيًّا لا علَمًا في قوله تعالى: ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ فلم يقل: أنَّ البعث حق؛ وذلك لإضافة الوعد لله تعالى، فيُكسبه جلالًا وصدقًا وهيبةً، فتضمن معنى الصدق؛ لأنَّه وعد اللّه تعالى، وهو أشملُ مِنَ البعث ومرادفاته، فيدخل فيه كلُّ موعودٍ مِنَ اللّه تعالى، والبعث يدخل دخولًا أوليًّا.

نكتة ذكر الحقِّ دون الصِّدق:

الـحـقُّ أشـمـل وأوسـع دلالـةً مـن الـصِّـدقِ فناسب السياق

ذُكر الحقُّ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ دون الصِّدق، فلم يقل: أن وعد اللّه صدقٌ، للعموم؛ فأصل الحَقّ: المطابقة والموافقة، وهو هنا مطابق لما ذُكرَ مِن وعد اللّه تعالى ببعث هؤلاء وقيام السّاعة في كون ذلك أمرًا ثابتًا مُتحقَّقًا، أمّا الصِّدق فهو "والكذب أصلهما في القول، ماضيًا كان أو مستقبلًا، وعدًا كان أو غيره، ولا يكونان

بالقصد الأوّل إلّا في القول، ولا يكونان في القولِ إلّا في الخبرِ دونَ غيرِه من أصنافِ الكلام"[1]، وعليه فذكرُ الحقِّ أوسع وأشمل وأدلُّ على كون البعث حقًّا ثابتًا، كما أنَّ فيه دفعًا للشكِّ وإغلاقًا لباب مَن يجعله صدقًا أو كذبًا أو شكًّا وارتيابًا.

غرض تنكير لفظ ﴿حَقٌّ﴾:

ورد لفظ ﴿حَقٌّ﴾ في وصف وعد الله تعالى نكرة للتَّعظيم، وهو كونه متحقَّقًا ثابتًا لا يتخلَّف لكونه وعده ﷻ كما أفاد العموم، فأي وعد من الله تعالى فهو حقٌّ ثابت.

بلاغة الإطنابِ في عطف الخاصِّ على العام:

إثباتُ السّاعة مرّتين بالعموم لبيان أنَّها حقٌّ وبالخصوص لنفي الرَّيب

عطف قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ على قوله تعالى: ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فالجملةُ المعطوفة فيها نفي الريب عن الساعة، والجملةُ المعطوف عليها فيها إثبات أن وعد الله حق، فيُسأل هل هذا من قبيل التكرار؟ وما بلاغة العطف؟

والجواب: أنَّ هذا من قبيل إثبات العموم، أي: عموم الموعود الإلهي الحق، فإثبات الساعة لأنَّها جزءٌ من ذلك الموعود، فعلى هذا تكون من عطف الخاص على العام، وهو سبب مِن أسباب الإطناب، والغرض منه التَّنويه بشأن الخاص، والتَّنبيه على فضله حتَّى كأنَّه شيء آخر، فذكر كون ﴿ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ داخل في تحقيق وعد الله تعالى وهو البعث ثم أُعيد ذكره مرَّة أخرى وهو كون السّاعة لا ريب فيها تنويهًا وتعظيمًا لشأنها.

وإذا فسرنا الوعد بالبعث فقط؛ فيكون مِن بابِ عطف العام على الخاص، باعتبارِ أنَّ السّاعة شاملةٌ للإحياءِ والبعث والحشر والحساب والجزاء والأول أقوى وأظهر.

(1) الرّاغب، المفردات: (صدق).

بلاغةُ المجازِ المرسل بذكر السّاعة دون القيامة:

السّاعة هي أحد أوقات القيامة، فهي جزء منها؛ فسُمّيت القيامة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ بالساعة من قبيل إطلاق الجزء على الكلِّ؛ لكونه أظهر أوقاتها، وهو الَّذي تقع فيه المحاسبة والمجازاة عن الكلِّ وهو القيامة، وفيها مراعاة حالة القدرة الَّتي أنامت هؤلاء تلك المدَّة الطَّويلة، ثم أفاقتهم في لحظةٍ انكشف فيها أمرهم، وهو الوقت الدنيويُّ الَّذي يناسب هذه الحالة دون القيامة الَّتي تأتي آخرًا، واشتُهر التعبير بها عن القيامة حتَّى صارت علَمًا عليها بالغلبة.

السّاعة أشهر أسماء القيامةِ، وهي المناسبة لساعة بعث أهل الكهف

بلاغة نفي الريب دون الشَّك:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ دون أن يقول: (لا شك فيها) من نفي الريب، أبلغ من نفي الشَّكِّ الَّذي هو التَّردد؛ لأنَّ في الرَّيب يقع التَّوهم ثم يزول، ولم يستعمل الشَّك في القرآن الكريم إلّا في مقام المتردِّد، ونفي الريبِ هو نفيٌ لكلِّ ما قد يقع في النَّفسِ من اضطراباتٍ نحو معتقدٍ ما، ويغلب الشَّكُّ في أمور العقليّات، والذي يقابل الرّيب هو الطُّمأنينة، وهي مختصَّة بالقلبِ والنَّفس، أما الشك فيقابله اليقين، وقد يقع الأمر اليقينيُّ عقلًا لكن داعية النَّفس لم تهدأ، فإذا ما اطمأنَّ القلب نُفي الرَّيب.

يقابل الرَّيبَ الطُّمأنينةُ والشَّكَّ اليقينُ

معنى حرف الظَّرفية:

مجيء حرف الظَّرفية في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ للدّلالة على تمكُّن نفي الرَّيب، أي: أنَّ وقوع أمر السّاعة أمرٌ مقطوع به، فهو أمرٌ مستقرٌ استقرارًا لا يرتاب فيه مُرتاب، ونفي الرَّيبِ هو لكيفيَّة وقوعها لا لمجرَّد العلم بها، "فَهو إِنْ صارَ عِلمُهُم بِذلك عَن مُشاهَدَةٍ تَزولُ بِها خَواطِرُ الخَفاءِ الَّتي تَعتَري المُؤمِنَ في اعتِقادِهِ حينَ لا يَتَصَوَّرُ كَيْفيَّةَ العَقائِدِ السَّمعيَّةِ وما هو بِرَيبٍ في العِلمِ ولَكِنَّهُ

الرّيبة إن وقعت بعد العلمِ بالسّاعة ففي كيفيّتها

في الكَيفيَّةِ، وهو الوارِدُ فيهِ أَنَّهُ لا يَخطُرُ إِلّا لِصدّيقٍ ولا يَدومُ إِلّا عِندَ زِنديقٍ"[1].

توجيه تعلُّق الظَّرفية:

إدمـــاجُ ذكـرِ التـنـازعِ كشفٌ لأحداثٍ تاريخيَّة

تعلق الظَّرف في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ بفعل ﴿أَعْثَرْنَا﴾، "أَي: أَعثَرنا عَلَيهِم حينَ تَنازَعوا أَمرَهُم، وصيغَ ذلك بِصيغَةِ الظَّرفيَّةِ لِلدّلالَةِ على اتِّصالِ التَّنازُعِ في أَمرِ أَهلِ الكَهفِ بالعُثورِ عَلَيهِم، بِحَيثُ تَبادَروا إِلَى الخَوضِ في كَرامَةٍ يَجعَلونَها لَهُم، وهَذا إِدماجٌ لِذِكرِ نِزاعٍ جَرَى بَينَ الَّذينَ اعتَدَوا عَلَيهِم في أُمورٍ شَتَّى جَمَعَها قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَمْرَهُمْ﴾"[2].

بلاغة الاستعارة ودلالتها:

لا يكونُ التَّنازعُ إلّا في الملمّات

شُبِّه التَّجاذب بالتَّنازع واشتُق منه الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، وذلك لبيان شدَّة تجاذب أطراف الحديث بينهم، كأنَّه شيءٌ يُتنازع فيه، أو أنَّه سيصل بهم إلى التَّنازع الحقيقيِّ، "والتَّنازُعُ: الجِدالُ القَويُّ، أَي يَتَنازَعُ أَهلُ المَدينَةِ بَيْنَهُم شَأْنَ أَهلِ الكَهفِ، مِثلَ: أَكانوا نيامًا أم أمواتًا، وأيبقون أَحْياءً أم يموتون؟ وأيبقون في ذلك الكَهفِ أَم يَرْجِعونَ إِلَى سُكْنَى المَدينَةِ، وفي مُدَّةِ مُكْثِهِم؟"[3].

نكتة التعبير بالمضارع:

التَّعبيرُ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يُفيد التَّجدُّدَ والاستمرارَ، واستحضارَ صورة هذا التَّنازع كأنَّه ماثلٌ أمامنا.

تعيينُ مرجعِ ضمائر: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾:

إذا طـال وقت الـتـنـازع كـثُر الداخلون فيه

عادَ ضميرُ فعل ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ والضَّمير المضاف إليه الظَّرف

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 288.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 288.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 288.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ إلى أهل المدينة الَّذين أطلعهم الله تعالى على أصحاب الكهف، أمّا ضمير ﴿أَمْرَهُمْ﴾ فيُحتملُ أن يكون عائدًا على أصحاب الكهف، أو إلى أهل المدينة، أي: ماذا يفعلون بهؤلاء الفتية؟ وهذا ما سار عليه جمعٌ من المفسِّرين كما سيأتي بيانه.

معنى الأمر بناء على اختلاف مرجع الضَّمير:

فتية الكهف حيَّروا عقول مَن في مدينتهم

المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿أَمْرَهُمْ﴾ الشَّأن، والمعنى: "يَتنازعون في شأنهم، فمنهم من يقول: إنَّهم وجدوا في زمن كذا، ومنهم من يقول إنَّهم مكثوا في كهفهم كذا سنة، ومنهم من يقول نبني حولهم بنيانًا صفته كذا، ويجوز أن يكون الضمير في ﴿أَمْرَهُمْ﴾ يعود إلى الذين أطلعهم الله على الفتية، فيكون المعنى: اذكر وقت تنازع هؤلاء الذين عثروا على الفتية وتخاصمهم فيما بينهم، حيث إن بعضهم كان مؤمنًا، وبعضهم كان كافرًا، وبعضهم كان يؤمن بِبَعْثِ الأرواح والأجساد، وبعضهم كان يؤمن ببعث الأجساد فقط"[1].

معنى الفاء ودلالتها الإيجازيَّة:

الفصيحة والتَّفريعيَّة تلتقيانِ في تقدير محذوف

جاءت الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ﴾ فصيحة أو تفريعيَّة، ومعنى الفصيحة أنَّها تُفصح عن مقدَّر في الكلام كأنَّه قيل: "وكذلك أعثرنا الناس على أصحاب الكهف حين تنازعهم في أمر البعث؛ فتحققوا ذلك وعلموا أن هؤلاء آية من آياتنا، فتوفاهم الله تعالى بعد أن حصل الغرض من الإعثار؛ فقالوا: ابْنوا إلى آخره"[2].

وأمّا كونها تفريعيَّة فعلى معنى أنَّه قد طويَ "وصْفُ العُثورِ عَلَيهِم، وذُكِرَ عَودُهُم إلَى الكَهفِ لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الغَرَضِ بِذِكرِهِ، إذ لَيسَ مَوضِعَ عِبرَةٍ لِأنَّ المَصيرَ إلَى مَرقَدِهِم وطُروَّ المَوتِ عَلَيهِم شَأنٌ مُعتادٌ لِكُلِّ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 493.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 235، 234.

حَيٍّ، وتَفريعُ فقالوا على يَتَنازَعونَ"[1]، والفصيحة والتَّفريعيَّة تتفقان في تقدير محذوفٍ.

غرض الأمر في قوله ﴿ٱبۡنُواْ﴾:

لين في الكلام لا تجده في كلام ذوي النفوذ وأرباب الغلبة

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿ٱبۡنُواْ﴾ ليس على حقيقته، بل المراد منه الإرشاد؛ فقد انقسم القوم في شأن هؤلاء الفتية حين توفّاهم الله تعالى فأشار البعض بأن يُبنَى عليهم بُنيان يحفظهم وأن يتركوا التَّنازع فيما بينهم، وأن يَكلوا أمرهم إلى ربِّهم فهو أعلم بهم وأدرى بحالتهم، وهناك مَن قال: نسدُّ عليهم باب كهفهم مع تركهم على حالتهم فلا يدخل الناس عليهم حفظًا لتربتهم تلك، وهناك من قال: نبني عليهم مسجدًا لإتيانه واتِّخاذهم قدوة، فالأمر للإرشاد.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور:

الاعتناءُ بأهلِ الكهفِ ببناءٍ خاصٍّ

المرادُ من تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ التَّخصيص، ومعناهُ أن يكون بُنيانًا خاصًّا بهم، ومقصورًا عليهم ليكون علامة على هدايتهم وحسن سيرتهم، فلا يكون كأيِّ بناءٍ مبنيٍّ على غيرِهم، فدلَّ التَّقديم على العنايةِ بشأنِهم، والرِّعاية لحالهم بعد موتهم.

بلاغة استعمال حرف الاستعلاء ودلالته:

علوٌّ مخصوص لأهل الطاعة والكرامة

الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ حقيقة في علوِّ البناء عليهم، والمراد به الإحاطة والشمول، علا الشيءُ الشيءَ أحاط به من جميع جوانبه، فالاستعلاء لا يُراد به الفوقيَّة المباشرة فحسب، بل الإحاطة من الجوانب بحيث يصير البُنيان آتيًا على مكانهم كلِّه، يحيط بهم من جميع جوانبهم حتَّى يصير عليهم كالغطاء لا ينفذ إليهم شيء يضيرهم من خلاله.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 289.

نكتة ذكرِ لفظ ﴿بُنْيَٰنًا﴾:

المقترحاتُ الأوليّة ليست شرطًا أن تكون النِّهايات الفعليّة

البنيان أعمُّ من المسجد، فاقتُرِح ابتداءً بناء بُنيانٍ عليهم في قوله تعالى: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾، ولم يقولوا: (مسجدًا)، "وإنَّما ارتَأَوا أن يَبنوا عَلَيهِم بُنيانًا لِأَنَّهُم خَشَوا عَلَيهِم مِن تَرَدُّدِ الزّائِرينَ غَيرِ المُتَأَدِّبينَ، فلَعَلَّهُم أَنْ يُؤْذوا أَجسادَهُم وثيابَهُم باللَّمسِ والتَّقليبِ، فأَرادوا أَن يَبنوا عَلَيهِم بِناءً يُمكِنُ غَلْقُ بابِهِ وحِراسَتُهُ"[1]، فَكانَتْ غايةُ البناءِ ابتداءً لأجل الحماية، والمقترحات الأوليَّة لا تكون هي النِّهايات الفعليَّة.

توجيه موقع جملة ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ البلاغي:

دعـوة لتفويض الأمـور كلِّها لله تعالى

هذه الجملة يُحتمل أن تكون حكاية لكلام طائفة من المتنازعين في شأن أصحاب الكهف، قالوا بذلك ليقطعوا النِّزاع في شأنهم وتفويض أمرهم إلى الله تعالى على معنى: ربُّهم أعلم بأمرهم وأحوالهم الَّتي تنازعنا فيها، أو تكون معترضة ردًّا للمتنازعين الَّذين خاضوا في شأنهم والمراد: اتركوا أيها الخائضون المتنازعون ما أنتم عليه من التَّنازع والخوض فإنّي - أي الله تعالى - أعلم بشأنهم وأدرى بحالهم فكفّوا عن هذا الخوض والتنازع في أمرهم.

نكتة اختيار عنوان الربوبيَّة:

اختيار الألفاظِ باعتبارِ السّياق ومناسبة المقام

وردَ التَّعبير بلفظ الربوبيَّة في قوله تعالى: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾؛ لإظهار نعمة الله تعالى عليهم، وهو مأخوذ من التَّربية، فالله تعالى هو الَّذي أوجدهم وربّاهم وأولاهم بصنوف النِّعم، والَّتي مِنْها أنَّه سبحانه هو الَّذي أماتهم ثم بعثهم على علم منه ﷻ؛ ولذا جاء هذا الاسم مقرونًا بالعلم، أي: ربهم الذي تولَّى ذلك كلَّه أعلم بهم، فناسب ذكر الرُّبوبيَّة لأنَّ المقام مقامُ عنايةٍ ورعايةٍ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 289.

فائدةُ اختيار صيغة أفعل التفضيل:

قـطـعُ الـتَّـنـازع وتـفـويـض الأمـر لـصاحبِ الأمر

آثر النَّظم الإتيان بصيغةِ أفعل التفضيل في قوله تعالى: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ﴾ بعد أمر التَّنازع والخوض في أمر هؤلاء الفتية أنائمون هم أم موتى؟ أأحياءٌ يبقون أم موتى يدفنون؟ أصالحون هم أم لا؟ كل هذه خواطر مرَّت على عقول هؤلاء الخائضين في شأنهم، فجاء التَّعبير بأفعل التفضيل لبيان أنَّ هناك من هو أعلم منكم بشأنهم، فهنا مفضَّلٌ وهو علم الله تعالى، ومفضَّل عليه وهو علم هؤلاء الخائضين؛ فكأنَّه قيل: (لا طريق لكم إلى علم هذا الأمر الَّذي تخوضون فيه)؛ لأنَّ الله تعالى الَّذي أوجدهم ورعاهم هذه المدَّة الطويلة أعلم منكم بهم، فالمرادُ من هذا التَّعبير لا مجرَّد الإخبار، بل قطع التنازع في شأنِهم، وتفويض ذلك لله تعالى.

علَّة فصْلِ الجملة عن السّابقة:

فُصلت هذه الجملة ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾ عن سابقتها لشبه كمال الاتِّصال، وهو ما يُسمَّى بالاستئناف البياني، على طريقة المحاورات؛ فكأنَّه قيل: (ماذا فعل هؤلاء بعد ذلك؟) فجاء الجواب: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾.

فائدةُ استعمال الاسم الموصول:

التَّنبيه على تغيُّر الأحـوالِ وتبدُّل الأيّام

الاسم الموصول من الأسماء المبهمة، ولذا فهو مفتقر دائمًا إلى الصِّلة فهي الَّتي تُزيل إبهامه، والمراد به في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾ زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، والإيماء والإشارة إلى معرفة الأمر الَّذي قاله هؤلاء، والَّذين قالوا ذلك هم ولاة الأمور بالمدينة، وأنَّهم هم مَن قالوا باتِّخاذ المسجد عليهم؛ ليكون شعارًا يُعرفون به، وهم أرباب الغلبة ونفوذ الكلمة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، أي: نصلي فيه تبركًا بهم وبمكانهم، ففي استعمال الاسم الموصول إيماءٌ إلى أنَّ القائلين هم من آل إليهم أمر الإيمان وخضعوا

لدين الله تعالى، بعد ضعف أصحاب الكهف والتجائهم إليه هروبًا بدينهم، فهو تنبيهٌ على الضدّيَّة في تحول الأحوال، فما كان اليوم ضعفًا فغدًا قوَّة، وما كان اليوم قوّةً فغدًا سيكون ضعفًا.

دلالة استخدام مفردة الغلبة:

الغلبةُ على التَّحقيق لربِّ العالمين

المراد بالغلبة في اللغة: القهر والقدرة على الشَّيء، وقد استعمل النَّظم هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾؛ لبيانِ أنَّ الغلبة كانت بعد صراعٍ ونزاعٍ، فتمكَّن المؤمنون من الغلبة على غيرِهم مِن المنكرين، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ المؤمن إذا كانت له الغلبة فإنَّما يأمر بما يُرضي الله تعالى علانيةً، وعليه ألّا يستعجل قطف ثمارِ العمل، فالأمر لله تعالى وحدَه، وهذا حال أصحاب الكهف أنَّهم مكثوا في الكهف إلى أن أَذِن الله لهم بالبعث بعد النوم المديد، ولم تكن الغلبة لهم، كما أنَّها ليست لغيرِهم على التَّحقيق، بل لربِّ العالمين.

فنُّ التَّرديد:

لكلِّ أمرٍ وجهةٌ هو موليها

التَّرديد هو "أن يُعلِّق المتكلِّم لفظة من الكلام على معنى ثمَّ يردُّها بعينها ويُعلِّقها بمعنى آخر"[1]، فـ﴿أَمْرَهُمْ﴾ الأولى عائدة إلى أصحاب الكهف أو إلى المتنازعين في أمرهم، و﴿أَمْرِهِمْ﴾ الثّانية تعود على الولاة وأُمراء المدينة، وجوِّز كونه عائدًا إلى الفتية.

معنى اللام ودلالتها:

مَنْ عَزَم على أمرٍ أكَّده

اللام في قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ لام القسم المقدَّر، والتَّقدير: (والله لنتخذنَّ)، وتُسمَّى اللام المؤكِّدة، ولام الابتداء للإيذان بكونه محكومًا عليه، ومن هنا اقترنت بنون التَّوكيد الثَّقيلة لِوكادَةِ أمر اتِّخاذ المسجد عليهم، فهم عزموا على ذلك عزمًا يدل على تأكيدٍ لا يُقبل معه التَّردد، أو التَّراجع.

(1) ابن النَّقيب، مقدِّمة ابن النَّقيب، ص: 284.

غرض التَّوكيد في ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾:

قوة أرباب الغلبة تجعل كلامَهم نافذًا

التوكيد في قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ يعكس قوة هؤلاء القائلين، وأنَّ الكلام الصادر عنهم هو الكلام النّافذ، كما يعكس التَّوكيد شدَّة الرَّغبة في صيانة أجساد أهل الكهف مِن أذى النّاس كرامة لهم وكونه مقصدًا يُزار لأخذ العبرة وتعهُّد الناس هذا الكهف الخاص بهم.

سرُّ العدول عن لفظ البنيان إلى الاتِّخاذ:

الوعد الأكيد يُنادي على قوّة الألفاظ والتراكيب

بدأ النَّظم بذكر قول الأولين بالأمر بالبناء، وفي قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ذكر الإخبارَ بالاتِّخاذ، وهو افتعال من الأخذ، والأخذ هو حوز الشيء وتحصيله إمّا تناولًا وإمّا قهرًا، ويأتي بمعنى جعل شيء على شيء، والأخذ العمل بقوة وعزيمة، بينما البناء فهو اسم لما يُبنى وهو عام في كُلِّ ما يُبنى، ويُحتمل أن يؤخذ محلًّا وألّا يؤخذ، أمّا المسجد فهو متَّخَذٌ للمقصد والزّيارة فيناسبه هنا الاتِّخاذ وليس الوقوف على حدِّ البُنيان، كما أنَّ ذكرَ الاتخاذ لبيان قوة عزيمة اتخاذ المسجد، فهو ليس مجرد بناءٍ، بل اتخاذ قائم على العزيمة والثبات.

دلالة تقديم الجار والمجرور:

لكلِّ أمرٍ عظيم ملابساتٌ تُناسبه

تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ للتخصيصِ، والمرادُ: عليهم لا على غيرِهم لكونِهم المخصوصين بذلك دون سواهم، إذ هم أهلٌ لاتِّخاذ المسجدِ عليهم؛ لصلاحِهم وتقواهم على حسب اعتقاد القائلين بذلك آنذاك.

بلاغة استعمال حرف الاستعلاء:

مسجد كبير يحيط بكهفهم تكريمًا لهم وصيانة لحُرمتهم

الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ حقيقي لا مجازي، ومجيء الظَّرفيَّة باستعمال لفظ العلو هنا دليل على الإحاطة والشُّمول لكهفهم هذا؛ ليشمل جميع الأجزاء الَّتي يحلُّ بها هؤلاء الفتية وإحاطته بهم.

نكتةُ ذكر لفظ ﴿مَّسْجِدًا﴾ دون (بنيانًا):

اتِّخاذُ المَساجِدِ على قُبورِ الصّالِحينَ مِن سُنَّةِ النَّصارَى

لما ذكر المتقدِّمون اقتراحهم ببناء البنيان، قال الذين غلبوا على أمرهم أنَّهم سيتَّخذون مسجدًا، وهذا يدلُّ على أنَّهم انتقلوا من عموم الطَّرح إلى الخصوص، فهم يريدون مسجدًا يُثبت أنَّهم على شريعة الحقِّ، فالمساجد لا تُتَّخذ إلّا على المؤمنين، "وإنَّما رَأَوا أَن يَكون البِناءُ مَسجدًا ليكونَ إكرامًا لهم ويَدومَ تعهُّد النّاسِ كهفهُم، وقَد كانَ اتِّخاذ المَساجِدِ على قُبورِ الصّالِحينَ مِن سُنَّةِ النَّصارَى، ونَهَى عَنهُ النّبيُّ صلّى اللّه عَلَيْهِ وآله وسلّم"[1] في شريعتِنا، والمقصدُ أنَّ اتخاذَ المسجد كان عنوانًا للعبادة الحقَّة، والمسلك القويم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرَّيْبُ والشَّكُّ:

الشَّكُّ تساوي النقيضين عقلًا، والرَّيب اضطراب القلب في أمرٍ ما

الرَّيبُ يأتي بِمَعنى الشَّكِّ مَع التُّهمَة؛ تَقولُ: رابَني الشيءُ وأَرابني، بِمَعنَى شَكَّكني؛ وقيل: أَرابني في كذا أَي شَكَّكني وأَوهَمني الرِّيبةَ فيه، وهو مأخوذٌ مِنَ الرّائبِ مِنَ اللَّبَنِ، وهو ما مُخِضَ فأُخِذَ زُبْدُه؛ المَعنَى: عَلَيكَ بالَّذي لا شُبهةَ فيه كالرّائبِ مِنَ الأَلبانِ، وهو الصّافي[2]، تَقولُ: رابَني هَذا الأَمرُ، إذا أَدخَلَ عَلَيكَ شَكًّا وخَوْفًا، وأَرابَ الرَّجُلُ: صارَ ذا ريبَةٍ، وقَد رابَني أَمرُهُ[3]؛ فالرَّيْبُ: أن تتوهّم بالشَّيء أمرًا ما، فينكشفُ عمّا تتوهّمه، قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الحج: 5]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]، تنبيهًا أن لا ريبَ فيه، وقوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: 30]، سمّاه ريبًا لا أنَّه مُشكِّك في كونه، بل من حيث تشكّك في وقت حصوله، فالإنسان أبدًا في ريب المنون من جهة وقته، لا من

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 289.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ريب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ريب).

جهة كونه، والرّيبَةُ اسم من الرّيب قال تعالى: ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 110]، أي: تدلّ على دغل وقلّة يقين[1]، فالرَّيب يكون في يقين القلب، لا في قناعة العقل، فليس العقل بدافعٍ ريبةَ القلب إن وجدت، فإذا دفعها القلب فقد كمل الرُّسوخ.

(الشَّكُّ): الشّين والكافُ أَصلٌ واحِدٌ مُشتَقٌّ بَعْضُه مِن بَعضٍ، وهو يَدُلُّ على التَّداخُلِ، مِن ذلك قَولُهُم شَكَكتُه بالرُّمحِ، وذلك إذا طَعَنتَهُ فداخَلَ السِّنانُ جِسمَهُ، والشَّكُّ خِلافُ اليَقينِ، وإنَّما سُمّيَ بِذلِكَ لِأنَّ الشّاكَّ كأَنَّهُ شُكَّ لَهُ الأَمرانِ في مَشَكٍّ واحِدٍ، وهو لا يَتَيَقَّنُ واحِدًا مِنهُما، فمِن ذلك اشتِقاقُ الشَّكِّ، تقولُ: شَكَكتُ بَينَ ورَقَتَينِ، إذا أَنتَ غَرَزتَ العودَ فيهِما فجَمعتَهُما[2]، فالشَّكُّ اصطلاحًا: اعتدال النّقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النّقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما، والشَّكُّ ربّما كان في الشَّيء هل هو موجود أو غير موجود؟ وربّما كان في جنسه، من أيّ جنس هو؟ وربَّما كان في بعض صفاته، وربَّما كان في الغرض الذي لأجله أوجد[3].

التنازع، والخصومة، والمجادلة:

التَّنازع: النّزع يَدُلُّ على قَلعِ شَيءٍ، ونَزَعتُ الشَّيءَ مِن مكانِهِ نزعًا، والمِنزعُ: الشّديدُ النّزعِ، والمِنزعةُ كالمِلعقةِ يكونُ مع مُشتارِ العسلِ، ونزع عنِ الأمرِ نُزوعًا: تركهُ، وأراد بالنّزعةِ جمع نازِعٍ، وهو الّذي ينزِعُ في القوسِ: يجذِبُ وترهُ بالسّهمِ، وفُلان قريبُ المنزعةِ، أي قريبُ الهمّةِ، ومنزعةُ الرّجُلِ: رأيُهُ، ونازعتِ النّفسُ إلى الأمرِ نِزاعًا، ونَزَعَتْ إليهِ، إذا اشتهتهُ، ونزع إلى أبيهِ في الشّبهِ[4]، ويُستعمَل ذلك في الأعراض، ومنه: نَزْعُ العَداوة والمَحبّة مِنَ القلبِ، قال تعالى:

التَّنازع أخذ الدَّليل مِنَ الخصم، والخصومة مُطلق النِّزاع، والمجادلة إحكام الدَّليل على الخصم

(1) الراغب، المفردات: (ريب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شكَّ).
(3) الراغب، المفردات: (شكَّ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نزع).

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: 43]، والتَّنازُعُ والمُنازَعَةُ: المُجاذَبَة، ويُعَبَّرُ بهما عن المُخاصَمة والمُجادَلة، قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [النساء: 59]، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه: 62][1]، والمنازعة في الخصومة: مجاذبة؛ كلٌّ يريد أن يقتلع أمرًا من يد صاحبه[2]، فالنَّزع إخراج شيءٍ من آخر حسيًّا كان أو معنويًّا.

الخصومة: هي المُنازَعَةُ، والخِصامُ: مَصدَرُ خاصَمتُه مُخاصَمَةً وخِصامًا، وقَد يُجمَعُ الجَمعُ على خُصوم، قالَ: وقَد جَنَفَت عَلَيَّ خُصومي[3]، وأصلُ المُخاصَمَة: أن يتعلَّق كلٌّ واحد بخصم الآخر، أي جانبه وأن يَجذب كلٌّ واحد خصم الجوالق من جانب، والخَصيمُ: الكثير المخاصمة[4]، فالخصومة هي منازعة يُراد منها إثبات خطأ المقابل بإقامة الدَّليل عليه.

المجادلة: الجدْلُ يأتي مِن بابِ اسْتِحْكام الشَّيْءِ في اسْتِرْسالٍ يَكونُ فيهِ، وامتِدادِ الخُصومَةِ ومُراجَعَةِ الكَلام، ويُقالُ لِلزِّمام المُمَرِّ: جَديلٌ، والجَدولُ: نَهرٌ صَغيرٌ، وهو مُمتَدٌّ، وماؤُه أَقوى في اجتِماعِ أَجزائِهِ مِنَ المُنبَطِحِ السّائِحِ[5]، والجِدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جَدَلْتُ الحبل، أي: أحكمت فتله، ومنه: الجَديل، وجدلت البناء: أحكمته، ودرع مَجدولَة، والأَجْدَل: القصر المحكم البنية، والمِجدَل: القصر المحكم البناء، ومنه: الجِدال، فكأنّ المتجادلين يفتل كلّ واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجِدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالَة، وهي الأرض الصلبة[6]، والمعنى المحوري للكلمة: امتداد الشيء شديد الأثناء بالتفاف بعضه على بعض أو التفاف مثله عليه، ومنه جادله: خاصمه في شدَّة ولَدَد، فالمجادلة التفاف كل على الآخر بإصرار[7]، وعليه فالمجادلة هي إثبات قوَّة المجادل بالحجَّة والبرهان في مقابل النَّظير.

وعليه فالتَّعبير بالتنازع هو الأنسب لما فيه من بيان أنَّهم لما تنازعوا في أمرهم، أراد كلٌّ منهم أن ينتزع من الآخر الدليل على صحَّة دعواه.

(1) الراغب، المفردات: (نزع).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نزع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).
(4) الراغب، المفردات: (خصم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جدل).
(6) الراغب، المفردات: (جدل).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جدل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»